

219026 - ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل : ( ما أنا بقارئ ) لما قال له جبريل : ( اقرأ )

( ؟ )

## السؤال

عندما قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم - وهو في غار حراء - : اقرأ ، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ( ما أنا بقارئ ) ، هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أمامه اللوح المحفوظ في ذلك الوقت ليقرأ منه ؟ أم ما معنى اقرأ؟ أما في قوله تعالى : ( وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) العنكبوت/ 48 . ذكر أحد الأشخاص شبهة أن المقصود من تلك الآية : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ولا يكتب قبل البعثة ، أما بعد ما بُعث : فهو الذي كتب القرآن ، بل وخطه بيمينه ، حتى يتأكد أنه يأتينا صحيحا ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ ويكتب سوى القرآن ؟

## الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

للعلماء في قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم : ( اقرأ ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم له : ( ما أنا بقارئ ) أقوال :

- قيل : أتاه بنمط من ديباج فيه كتاب ، ثم قال له : اقرأ ، يعني اقرأ ما في هذا الكتاب .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" وَقَعَ عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي مُرْسَلِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ( أَتَانِي جِبْرِيلُ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ قَالَ اقْرَأْ . قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ ) قَالَ السُّهَيْلِيُّ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ قَوْلَهُ ( أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ ) إِشَارَةٌ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ حَيْثُ قَالَ لَهُ ( اقْرَأْ ) " انتهى من " فتح الباري " ( 718 / 8 ) .

وقال الحافظ ابن حجر - أيضا - :

" تَكَلَّمَ شَيْخُنَا - يعني البلقيني - عَلَى مَا كَانَ مَكْتُوبًا فِي ذَلِكَ النَّمَطِ فَقَالَ: ( اقْرَأْ ) أَيِ الْقَدَرِ الَّذِي أُقْرَأُ بِهِ وَإِيَّاهُ وَهِيَ الْآيَاتُ الْأُولَى مِنْ ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ) وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَمَلَةُ الْقُرْآنِ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْقُرْآنُ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً بِاعْتِبَارٍ وَنَزَلَ مُنَجَّمًا بِاعْتِبَارٍ آخَرَ " انتهى من " فتح الباري " ( 357 / 12 ) .

أما القول بأنه كان أمامه اللوح المحفوظ ، فقول فاسد ، لأن اللوح المحفوظ في الملاء الأعلى في السماء .  
انظر جواب السؤال رقم : (7002) .

- وقيل : معنى (اقرأ) ، يعني ردّ خلفي ما أقوله ، ومعنى (ما أنا بقارئ) يعني : لم أتعلم القراءة ، كما هو المعتاد فيمن يقرأ .  
قال الحافظ ابن حجر :

" قَوْلُهُ (فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيٍّ) : اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ : ( افعل ) : تَرَدُّ لِلتَّنْبِيهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ قَالَهُ شَيْخُنَا الْبُلْقِينِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ عَلَى بَابِهَا لِطَلَبِ الْقِرَاءَةِ ، عَلَى مَعْنَى : أَنَّ الْإِمْكَانَ حَاصِلٌ .  
قَوْلُهُ (فَقَالَ اقْرَأ) قَالَ شَيْخُنَا الْبُلْقِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : دَلَّتِ الْقِصَّةُ عَلَى أَنَّ مُرَادَ جَبْرِيلَ بِهَذَا أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَّ مَا قَالَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ (اقْرَأ) .

ثُمَّ قَالَ شَيْخُنَا : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَبْرِيلُ أَشَارَ بِقَوْلِهِ (اقْرَأ) إِلَى مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّمَطِ الَّذِي وَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ (مَا أَنَا بِقَارِيٍّ) ؛ أَيُّ : أُمِّيٌّ لَا أَحْسِنُ قِرَاءَةَ الْكُتُبِ .  
قَالَ : وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ . وَهُوَ أَنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ (اقْرَأ) : التَّلَفُّظُ بِهَا " انتهى مختصراً من " فتح الباري " (357 /12) ، وينظر : " طرح التثريب " ، للعراقي (187-188 /4) ، " مرعاة المفاتيح " (3730 /9) .

- وقيل : لا يلزم من أمره بالقراءة أن يكون هناك مكتوب يريد منه أن يقرأه ، وإنما المعنى : اقرأ ما يتلى عليك فيما يستقبل ، ويكون معنى ( ما أنا بقارئ ) الاعتذار له عن القراءة التي لا يعرف حقيقتها في ذلك الوقت ، فهو رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب .  
قال ابن عاشور رحمه الله :

" وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (اقْرَأ) أَمْرٌ بِالْقِرَاءَةِ ، وَالْقِرَاءَةُ نَطْقٌ بِكَلَامٍ مُعَيَّنٍ مَكْتُوبٍ أَوْ مَحْفُوظٍ عَلَى ظَهْرِ قَلْبٍ .  
وَالْأَمْرُ بِالْقِرَاءَةِ مُسْتَعْمَلٌ فِي حَقِيقَتِهِ ، مِنْ الطَّلَبِ لِتَحْصِيلِ فِعْلٍ فِي الْحَالِ أَوْ الْإِسْتِقْبَالِ ، فَالْمَطْلُوبُ بِقَوْلِهِ : اقْرَأ : أَنْ يَفْعَلَ الْقِرَاءَةَ فِي الْحَالِ أَوْ الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ مِنَ الْحَالِ ، أَيُّ أَنْ يَقُولَ مَا سَيُمْلَى عَلَيْهِ ، وَالْقَرِينَةُ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ بِقِرَاءَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ : أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمَ إِمْلَاءُ كَلَامٍ عَلَيْهِ مَحْفُوظٍ ، فَتَطَلَّبَ مِنْهُ قِرَاءَتُهُ ، وَلَا سَلِمَتْ إِلَيْهِ صَحِيفَةٌ ، فَتَطَلَّبَ مِنْهُ قِرَاءَتُهَا ، فَهُوَ كَمَا يَقُولُ الْمُعَلِّمُ لِلتَّلْمِيزِ : اكْتُبْ ، فَيَتَأَهَّبُ لِكِتَابَةِ مَا سَيُمْلَى عَلَيْهِ " انتهى من " التحرير والتنوير " (435 /30) .

ثانيا :

القول بأن المقصود من قوله تعالى : ( وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) العنكبوت/ 48 ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ولا يكتب قبل البعثة ، أما بعد البعثة فهو الذي كتب القرآن ، وخطه بيمينه ، وأنه لم يقرأ ولم يكتب سوى القرآن : قول باطل من وجوه :

الأول : أن الصواب المقطوع به : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، من يوم ولد إلى أن توفاه الله .  
انظر جواب السؤال رقم : (1108) ، (218079) .

الثاني : أنه ليس في الآية ، ولا في غيرها من الآيات ، ولا فيما ثبت من السنن والآثار : أنه صلى الله عليه وسلم قرأ وكتب بعد

البعثة ، وإنما فيها أنه لم يكن يكتب ولا يقرأ ، ولم يأت ما يدل على تعلمه القراءة والكتابة ، وهذا أكد في الحجة ، وأعظم في البرهان ، والقول بخلاف ذلك ، أو دعوى أنه كان يكتب الوحي بيده صلى الله عليه وسلم : دعوى باطلة في نفسها ، عاطلة عن الدليل الصحيح.

الثالث : قول هذا المدعي : كتبه بيده حتى يتأكد من وصوله إلينا صحيحا ، من أفسد القول ؛ لأن فيه غمزا للصحابة رضي الله عنهم ، كأنه يقول : كان لا يأمن الصحابة على كتابة القرآن فكتبه بيده ، فيقال : فكيف استأمنهم من بعد موته على نقله ونقل الشريعة إلى الأمة بأسرها ؟